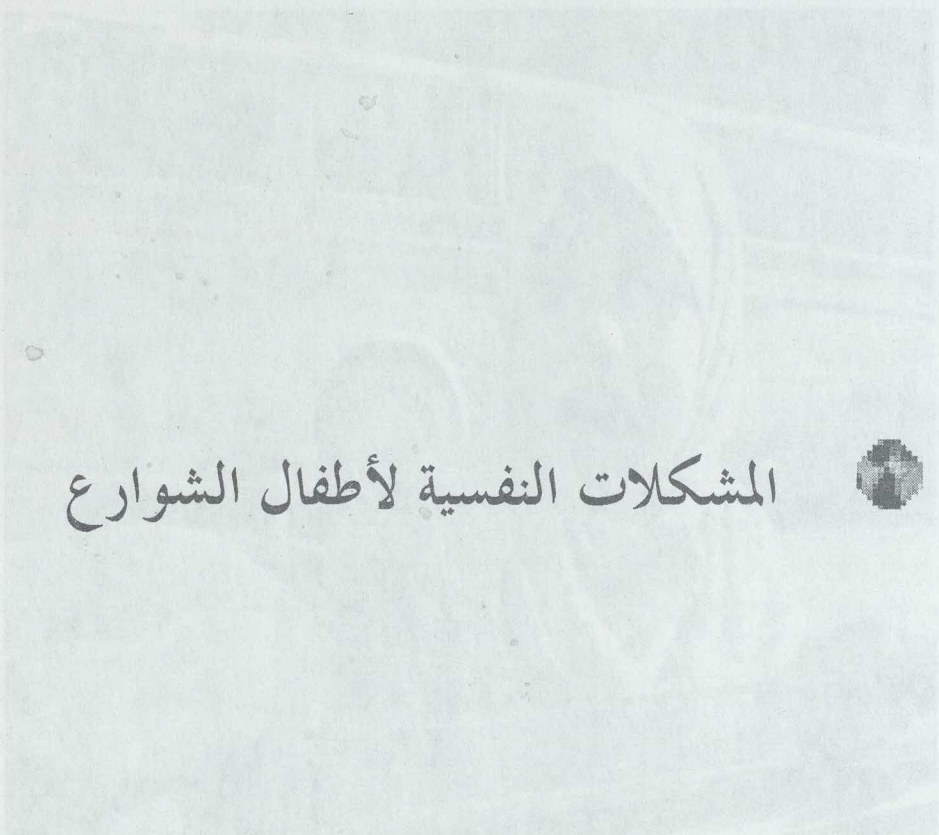

المشكلات النفسية لأطفال الشوارع

المشكلات النفسية عند أطفال الشوارع

إعداد : أ.د / أسماء الجابري

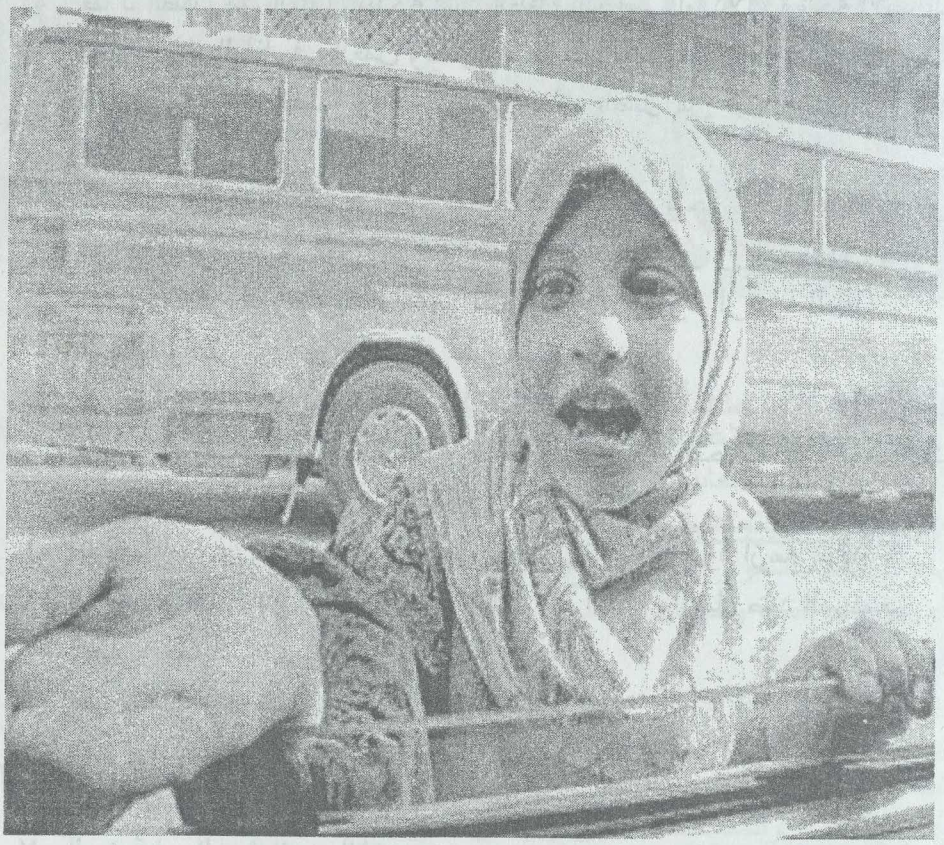

تحتل مشكلات الأطفال ومآسيهم عقول وأفئدة كل المصريين المهتمين بالأجيال التالية، بحيث يتم وضعها فى مقدمة المشكلات وضمن أهم الأولويات التى يجب أن يهتم بها من بأيديهم سلطة اتخاذ القرار فى مصر ومن ضمن هذه المشكلات تزايد معدلات أطفال الشوارع. وترجع أسباب ظهور مشكلة أطفال الشوارع إلى :

- قسوة الأسرة أو أحد أفرادها حينما تعاقب الطفل لعدم انضباطه من وجهة نظره الذاتية أو لفرض أمر ما مثل عمل معين على الطفل أو سلوكيات معينة ترضيهم أنفسهم وقد لا تكون صحيحة.أو التمييز بين الأبناء.
- خوف الطفل من العقاب لأسباب تافهة مثل ضياع مبلغ بسيط من الطفل وعقابه بصفة مستمرة على ذلك أو تدخين السجائر وضبط أبيه له.
- إعاقة الطفل والسخرية منه.
- طرد الطفل من المنزل نتيجة فشل الطفل الدراسى أو دلال زوجة الأب الجديدة أو عدم انتظام الطفل فى العمل وشكوى صاحب العمل منه.
- كثافة الضغوط النفسية والجو العقابى على الطفل من قبل الأسرة أو المدرسة أو صاحب العمل.
- آثار مترتبة على تصدع الأسرة أو تفككها بسبب سجن الأب أو الأم، مرض أحد الوالدين، مع ضيق المنزل والفقر، خيانة أحد الوالدين ورؤية الطفل لذلك أو إدمان الأب للمخدرات وضربه المستمر للأم والطفل أو سوء الرعاية للطفل.
- البطالة والفقر. و هجرة الفقراء على هامش المدينة.
- كراهية الطفل للمدرسة والمدرسين.

وبعد التعرف على أسباب ظاهرة أطفال الشوارع نتحدث عن المشكلات النفسية لأطفال الشوارع، والتى نوجزها فى المظاهر الآتية :

١- ضعف المبادئ والتخلى عن القيم وضعف الانتماء ووجود أزمة هوية.
٢- الشعور بالظلم والرغبة فى الخروج على النواميس والعمل ضد المجتمع.
٣- العناد وحب الشغب.
٤- حب التملك والحصول على دخل وامتلاك ثروة.
٥- الميول العدوانية.
٦- الغيرة والتشتت العاطفى.و عدم التركيز.
٧- الرغبة فى المساواة مع الآخرين.
٨- الخوف وعدم القدرة على التكيف.
٩- ممارسة الحرية بكل صورها.
١٠- اكتساب معايير وقيم ومهارات ومفاهيم جماعات أطفال الشوارع.
١١- الشعور بعدم الأمن النفسى.
١٢- الشعور بالدونية وانخفاض تقدير الذات.
١٣- الشعور بالوحدة النفسية.
١٤- الشعور بالاغتراب.

وسنقوم بعرض اثنين من المشكلات النفسية بالتفصيل، فهما يجمعان فى طياتهما جميع المشكلات السابقة.

مشكلة الشعور بالاغتراب لدى أطفال الشوارع :

يرتبط الشعور بالاغتراب بالأبعاد الآتية : العزلة الاجتماعية، والعجز (فقدان القدرة)، واللامعيارية (فقدان المعايير)، التمركز حول الذات، واللامعنى (فقدان المعنى).

الشعور بالعزلة الاجتماعية :

يحدث نتيجة لشعور طفل الشارع بعدم التواصل مع الآخرين واللامبالاة بما يجرى حوله من أحداث ومواقف، وانخفاض مستوى التفاعل والمشاركة مع الآخرين، والشعور بأنه وحيد فى مجتمعه.

وبالبحث عن أسباب الشعور بالعزلة الاجتماعية وجد أنها ترتبط بظروف الفقر الذى دفعهم إلى حياة الشارع وأيضاً ترتبط بفقد الثقة فى القدرات الشخصية، كما ترتبط بالإساءة الجنسية البدنية وأيضاً ترتبط بعدم وجود مساندة عائلية أثناء تواجدهم فى المنزل، مما يظهر القلق والاكتئاب والمشكلات السلوكية المرتبطة بالعزلة الاجتماعية. كما ترتبط العزلة الاجتماعية لأطفال الشوارع باستخدام المخدرات وطول فترة التواجد فى الشارع.

العجز (فقدان القدرة) :

إن شعور طفل الشارع بعدم القدرة على مواجهة ما يحدث فى حياته، وأنه لا يستطيع التأثير فيما حوله من مواقف وأحداث، مع عدم الاعتماد على النفس، مما يجعله ينسحب عن واقعه ويولد لديه مشاعر اليأس والنقص.

وترتبط مشاعر العجز بإدراك المجتمع الذى ينظر إلى أطفال الشوارع على أنهم غير موجودين فى أى دائرة من دوائر المجتمع، مما يشعرهم بالحزن والقهر. وترتفع مشاعر العجز لدى الإناث عن الذكور خاصة لدى من يطول تواجدهم فى الشارع مما يعرضهم للإساءات التى لا يقدرون على تفاديها. كما يرتبط الشعور بالعجز بانخفاض تقدير الذات ونقص الدافعية للتغيير والسلوك المضاد للمجتمع.

اللامعيارية (فقد المعايير) :

هى شعور طفل الشارع بعدم توحده فى القيم والمعايير الأخلاقية للمواقف والأحداث التى يواجهها، كما تنفصل أهدافه ورغباته عن أهداف المجتمع.

وترتبط اللامعيارية بالوحدة النفسية والهامشية وعدم الطموح لدى أطفال الشوارع، كما تتشكل معايير وقيم جماعة الشارع البديلة التى تهدف إلى الإشباع النفسى الزائف من الأمن.

التمركز حول الذات :

وفيما يكون اهتمام طفل الشارع بذاته (نفسه) وانشغاله بأحواله فقط مع عدم الاهتمام بالآخرين وما يجرى من حوله من أحداث مما يؤدى به إلى البعد عن الواقع.

ويرتبط التمركز حول الذات بطول فترة التواجد فى الشارع، ويرتبط ذلك باضطرابات الصحة النفسية مثل تشوه صورة الذات، النظرة السلبية للحياة، التقدير المنخفض للذات.

اللامعنى (فقدان المعنى) :

وهو شعور طفل الشارع بأنه لا أهمية له ولا معنى لحياته، وعدم وجود هدف صريح لحياته، مع فقدان الشعور بحياته ومستقبله.

ويرتبط فقدان الهدف بطول فترة التواجد فى الشارع والتهديد المستمر له أثناء ذلك. كما يرتبط باليأس من وجوده، وانعدام القدرة على إشباع احتياجاته النفسية والاجتماعية.

ومن ثم الشعور بالاغتراب يتمثل فى الأبعاد السابقة الذكر.

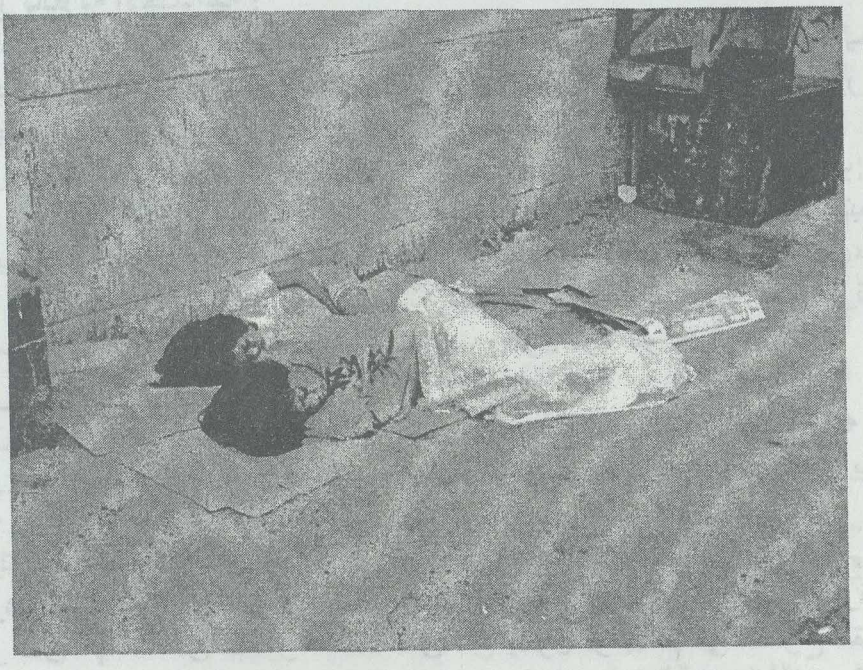

مشكلة مخاوف أطفال الشوارع :

إن أطفال الشارع - أو الأطفال المشردين - غالباً ما يعانون من شعور دائم بالخوف وانعدام الأمن. ويعتبر بحثهم عن الأمن من أهم العوامل التى دفعتهم إلى مغادرة أسرهم التى لا توفر لهم هذا الشعور، ولا تضمن لهم الحد الأدنى من الشروط لإشباع حاجياتهم ورغباتهم. وهؤلاء الأطفال - وقد استسلموا إلى فضاء الشارع - يخافون من مطاردة رجال الأمن لهم، أو ملاحقة بعض الكبار الذين يتخوفون من السلوكيات المنحرفة لأطفال الشارع (سرقة، تخريب، إثارة الفوضى... إلخ)، أو من اعتداء بعض المنحرفين من الكبار لاسيما المنحرفين جنسياً، وفى محاولتهم للتغلب على مخاوفهم يلجأ أطفال الشارع إلى ارتكاب أفعال معينة بقصد تخويف الآخرين منهم. فكأنهم، بسلوكهم هذا، يحاولون التخلص من مشاعر الخوف التى يعانون منها بإثارة الخوف لدى الآخرين الذين يحتكون بهم فى الشارع.

إن تخويف الآخرين - بالنسبة لطفل الشارع - هو بمثابة خطاب موجه للآخرين للاعتراف به كإنسان لا يختلف عن غيره من البشر، فكأنه يريد أن يقول للآخرين : إذا لم أحظ بحبكم واحترامكم فلتخافوا منى على الأقل، وهذا ما يفسر لنا بعض سلوكيات أطفال الشارع التى تبدو سلوكيات لا مبرر لها وتعكس رغبة مجانية فى الاعتداء والتخريب وإثارة الفوضى.

وهذه النزعة التدميرية لدى أطفال الشارع هى انعكاس للقلق الذى يعانون منه بسبب إقصائهم وتهميشهم. إقصاء من جانب أسرهم التى نبذتهم أو تخلت عنهم أو أهملتهم أو تعمدت دفعهم إلى الشارع، وتهميش من طرف المجتمع الذى لا يأبه لوجودهم فى الشارع حيث لا يشعرون بالأمن، ويتوقعون المطاردة والاعتداء فى أية لحظة.

وقد يعبر أطفال الشارع عن نزعتهم التدميرية من خلال المشاجرات التى تقع بينهم والتى قد تؤدى بهم إلى ارتكاب أعمال عنف ضد بعضهم البعض، وكأن نزعة التدمير – فى هذه الحالة – تسقط على الذات عندما يحال دون توجيهها نحو الآخرين، وتتخذ المشاجرات طابعاً حاداً حيث يجدون فى المشاجرات فرصة للتعبير عن حالة القلق التى يعيشونها، والتنفيس عن شعورهم الدائم بالخوف والضياع.

وتحت تأثير الشعور بالخوف فإن أطفال الشارع لا يستقرون فى مكان محدد، بل ويتنقلون من شارع إلى آخر، ومن حى إلى حى، وغالباً ما لا يكونون من نفس الحى الذى يسكنون فيه، وبالتالى فإن معرفتهم بطبوغرافيا الحى تظل محدودة، مما يزيد من شعورهم بالغربة والخوف.

وتسيطر على أطفال الشارع رغبات آنية تتغير حسب الظروف التى يواجهونها والمليئة بالمفاجآت، إنهم يعيشون ببعد واحد هو الحاضر. ونتيجة لذلك فإنهم قلما يشعرون بالندم على أفعال ارتكبوها، أو يميلون إلى أهداف يعتزمون تحقيقها فى المستقبل، إنهم عاجزون عن وضع أهداف لحياتهم بسبب تدنى - إن لم يكن انعدام - مستوى طموحهم واستسلامهم لواقعهم، وغير قادرين على اللجوء إلى الوسائل المشروعة لتغيير هذا الواقع، لذا فإنهم غالبا لا يقدرون مسئولية ما يرتكبونه من أفعال، ويغلب على سلوكهم طابع المغامرة والميل إلى التحدى الذى يعطيهم الفرصة لتأكيد الذات أمام ما يتعرضون له من إقصاء وتهميش وإحباط.

إن هاجس الخوف الذى يسيطر على أطفال الشارع يشكل العقبة الرئيسية أمام الجهود التى تبذل لإعادة إدماجهم داخل المجتمع. وتحررهم - ولو نسبياً- من هاجس الخوف من الآخرين يعتبر شرطاً ضرورياً لاستجابتهم لأى برنامج يستهدف إدماجهم وتأهيلهم. وقد يكون خوف أطفال الشارع من الآخرين هو استمرار للخوف الذى انغرس فى شخصياتهم داخل أسرهم قبل أن يتجسد هذا الخوف بشكل أكثر وضوحاً عندما يلقى بهم إلى الشارع، ففى داخل الأسرة عادة ما يعتادون أن يتخوفوا من الآخر، سواء كان هذا الآخر الطبيعة أو الناس، فالطبيعة ينظر إليها على أنها مسكونة بقوة غيبية لا سبيل إلى فهمها فهماً منطقياً، ولا يتاح للطفل، عادة، أن يحتك بالطبيعة بكيفية سليمة وعقلانية ليتعرف على ظواهرها بإرجاعها إلى أسبابها الحقيقية والمباشرة، كما يتخوف الطفل من الآخرين باعتبارهم يشكلون مصدر خطر دائم، خاصة إذا تعرض الطفل داخل أسرته إلى سوء المعاملة من جانب والديه أو من ينوب عنهما، وعندما يلقى بالطفل إلى الشارع يأخذ الخوف طابعاً مأساوياً، إذ عليه أن يتحايل على العيش ليضمن اللقمة التى تسمح له بالاستمرار فى الحياة، وفى نفس الوقت عليه أن يتعايش مع خوفه من الآخرين الذين لا ينتظر منهم سوى المطاردة والاعتداء، وفى أحسن الأحوال اللامبالاة والإقصاء.

ونتيجة للوضعية التى يعيشها طفل الشارع، والتى تفرز أحياناً سلوكيات لا عقلية : تدمير، تخريب، اعتداء مجانى على الآخرين أو ممتلكاتهم... إلخ فإنهم يبدون كما لو كانوا متخلفين ذهنياً، وغير قادرين على إدراك الجانب اللاعقلانى فى سلوكهم. وما يبدونه من "تخلف ذهنى" ظاهرى غالباً ما يكون انعكاساً لشعورهم بالفراغ لاسيما الفراغ العاطفى، وإذا ما أتيح لهؤلاء الأطفال أن يستعيدوا ثقتهم بأنفسهم ويلمسوا قبول المجتمع لهم من خلال ما يقدم لهم من المساعدة لإخراجهم من عزلتهم، فإننا قد نكتشف أنهم لا يختلفون عن الأطفال العاديين من حيث قدراتهم العقلية وميولهم ورغباتهم. ومما يؤكد ذلك أن هؤلاء الأطفال يظهرون قدراً من الاستعداد للتكيف والاندماج مع المجتمع عندما تعطى لهم فرصة تعلم مهنة، والقيام بعمل يدر عليهم بعض الدخل ويتيح لهم إشباع حاجاتهم الأساسية، وإشعارهم بأنهم قادرون على الإنتاج والعيش الكريم.

أما طرق مواجهة المشكلات النفسية فيكون من خلال الأساليب الآتية :

- تشجيع الأطفال على التعبير عن الذات (كشف الذات)
- تغيير بعض الاتجاهات السلبية نحو الحياة
- عرض بعض المشاكل والمواقف التى يصعب على الأطفال مواجهتها
- الوصول إلى الحلول البديلة من خلال المناقشة الجماعية وإبداء الآراء
- التأكيد على ضرورة وجود هدف لحياتهم
- استخدام العقل والتفكير قبل العدوان
- لا تشعر أنك وحيد طالما أن هناك أناساً يحبونك
- يجب أن تحب نفسك وتحترمها لأن بها مميزات وأشياء كثيرة حلوة
- طالما أنك تتصرف بعقلك فأنت شخصية جديرة بالاحترام والكفاءة فى معالجة المواقف والمشكلات التى تواجهها
- تجاوبك مع الموقف أكيد سيصبح أكثر توازناً، لأنك استخدمت عقلك فى تصرفاتك
- تحت أى ظرف أو مشكلة لا تنسى أن الله خلقك ولن ينساك وأنه يحبك
- مع توفر كل من العقل والحب والتصرفات الجيدة فمن المؤكد أن النظرة للحياة ستختلف كثيرًا

ما يجب مراعاته فى إعداد برامج علاج المشكلات النفسية لأطفال الشوارع

- أن يكون البرنامج المقدم لأطفال الشوارع متناسباً مع الطفل الذى يتناسب مع البرنامج
- أن يراعى البرنامج أن أطفال الشوارع تنقصهم القدوة ولكنهم يريدون أن يكونوا كباقى أفراد المجتمع، كما أنهم لا يرغبون فى بقائهم داخل دائرة الملفوظين وإنما يرغبون فى العيش داخل المجتمع والاحتكاك بالناس حتى يرضون عنهم
- عند البدء فى البرنامج يجب إكساب هؤلاء الأطفال الاحترام والحماية وإعطائهم فرصة فى المجتمع ومعالجتهم من الشعور بالاحتقار والدونية،
- عمل تخطيط لإصلاح أولاد الشوارع من خلال مراحل : خطة تهدف إلى المحافظة على صحة أولاد الشوارع بحيث يتوفر لهم المأكل والمشرب والملبس والمأوى
- خطة تهدف لتعليم أولاد الشوارع بعض الحرف، كما تهدف إلى تسليحهم بالمعلومات الأساسية التى يعرفها غيرهم من الأولاد
- خطة تهدف إلى إصلاح الوضع الاجتماعى لطفل الشارع أى تقوم بتعديل سلوكه حتى يتواءم مع قيم ومبادئ وعادات المجتمع
- فى الاحتكاك الأول مع طفل الشارع لابد أن يراعى عدم الخوف منهم واحترام عقلياتهم وذكائهم وقدرتهم على التكيف مع الحياة، وعدم معاملتهم أو اعتبارهم لصوصاً لأنهم سرقوا لحاجتهم للمال أو لإشباع جوعهم، بل التحدث معهم ومواجهتهم مع الاستماع لوجهة نظرهم، وتقبلهم كما هم.

الاستراتيجيات التى يقوم على أساسها البرامج الإرشادية والعلاجية للمشكلات النفسية :

- أسلوب التعديل السلوكى.
- أسلوب تعديل الأفكار الخاطئة.
- الاستبصار الذاتى بالإيجابيات والسلبيات المقبولة والمرفوضة اجتماعياً
- التدعيم.
- توليد البدائل واستكشاف الإمكانات المختلفة للحل.
- النمذجة.
- التدريب على السلوك التوكيدى.
- التركز حول الذات لتقييم الطفل لذاته والمحيط به.
- تخفيض أو تحويل المشاعر السلبية وفقاً لطريقة روجرز.
- أسلوب العمل الجماعى.

الأساليب المستخدمة فى إعداد برامج إرشادية وعلاجية لإعادة تكيف أطفال الشوارع فى المجتمع :

أسلوب اللعب :

- لعبة المرايا تهدف إلى تكوين مفهوم ذات إيجابى، وتقبل الأطفال لذواتهم الجسمية
- لعبة كراسى الاعتراف : الهدف تدعيم الاتجاه الإيجابى نحو الآخرين، احترام وجهات النظر الأخرى، الاستبصار بالسلوكيات المقبولة والمرفوضة اجتماعياً، الصدق فى الحديث والتعبير عن الذات.
- لعبة الانتخابات (أفضل الصفات والمهارات والقدرات)

الهدف : حرية التعبير عن المشاعر، وممارسة الصدق فى الحديث، وتنمية الميول القيادية، ومواجهة الآخرين بإيجابية وواقعية، واكتساب مفاهيم إيجابية نحو الذات.

- لعبة البرلمان الصغير : الهدف كيفية إدارة النشاط والتخطيط له، والقدرة على إبداء الرأى والدفاع عنه.
- لعبة الصندوق السحرى : من أهم شخص فى حياتك وأحب وأكثر طاعة وأكثر شجاعة....؟

الهدف : تكوين مفهوم ذات إيجابى، وثقة بالذات، وتقبل الذات، وتقدير الذات.

- لعبة الإعلانات التليفزيونية : مسابقة لعمل إعلان يظهر أحسن صفاته ومواهبه.

الهدف : التنفيس الانفعالى، وتكوين مفهوم ذات إيجابى، وثقة بالذات، وتقبل الذات، وتقدير الذات.

❖ **أغانى أطفال الشوارع من تأليفهم :**

أغانى من تأليف الأطفال وتعكس حياتهم ومعاناتهم :

أنت يـا أقـــرع ومـــلابط	أنـا بكـرة حـاوديك للظـــابط
وتشوف هناك الضرب أشكال	وألوان والقرعة تورم مش إشكال
بدال مـا تحـط إيدك تداريهـا	ادعـــى لـربـــك يشـفيـــها
سيبها تشـرب حـر الصيف	وفـــى الشـــتا إبقـــى اسقيـها
اسـمع كلام سـيد سـيكا	دا مـــرة ســـافر أمـــريكا
هـيركبـولك شـعر هـناك	ويبـــقى شـــعرك مـــزيكـــا
بيكـــــا بيكـــــا	بيكـــــا بيكـــــا

هذه الأغنية تعبر عن البيئة الثقافية والاجتماعية لحياة الشارع ومدى تعرض الأطفال لحملات الشرطة والقبض عليهم وحلاقة شعرهم كنوع من العقاب لهم. فالأغنية بها الإحساس الدرامى فى البداية عند حلق الشعر ومأساته بالنسبة للطفل، فهى تضعهم فى موقف حرج باعث على السخرية من أطفال الشوارع الآخرين، فالأغنية تشعرك بالشفقة على الطفل فى هذا الموقف الصعب.... إلا أنهم ينسوه بالضحك والسخرية.

الضحك :

قد يخففون عن أنفسهم ما يشعرون به من عبث الحياة بهم، محاولين إزالة بعض التوتر الذى حصدوه طوال اليوم فى الشارع، بالإضافة إلى أنهم يشعرون بالدفء، وهم يضحكون سوياً وكأنهم فى منزل واحد، وكأسرة وأخوة معاً.

التمثيل ولعب الأدوار :

يحب أطفال الشوارع التقليد والتمثيل، فهم يمثلون شخصيات المشرفين وحركاتهم ولزماتهم.

الرسم :

يعبر عن حياتهم فى الشارع وعن ظروفهم الصعبة التى يمرون بها، ويعمل على تنمية شخصية الطفل.

الأعمال الفنية

المناقشات

الندوات

المحاضرات

القصص

الأفلام التليفزيونية